المُحدِّدات المنهجية للتعامل مع القرآن الكريم في فكر طه جابر العلواني

هاني سمير أمين جزيرة*

الـمُلخَّص

يتناول البحث محاولة العلواني بلورة رؤية كلية ومحددات منهجية في التعامل مع القرآن الكريم، والحجة الرئيسة التي يقوم عليها البحث هي أن التعامل مع القرآن الكريم يقتضي مراعاة مقاصده العليا الحاكمة، فلا يَسَعُ الـمُتفهِّم للقرآن الكريم أو الـمُفسِّر له أنْ يغفل عن دراسة مقاصده، أو الوقوف على أسرار خطابه وغايات آياته في الإنسان والكون والحياة، ومن شأن هذه المقاربة أن تؤكد أن تشغيل المقاصد العليا الحاكمة القرآنية من شأنه أن يغرس قابلية التجدد الذاتي للأمة، عبر الجمع بين القراءتين، والنظر المتواصل في قضايا قرآنية جوهرية، ومن أهمها: قضية النسخ، وقضية المحكم والمتشابه، والوحدة البنائية للقرآن.

الكلمات المفتاحية: الـمُحدِّدات المنهجية، الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون، المقاصد العليا الحاكمة، الوحدة البنائية، النسخ.

---

* دكتوراه في مقارنة الأديان، جامعة الأزهر، 2019م، مُدرِّس في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر. البريد الإلكتروني: Drhanysamir2000@yahoo.com

تم تسلُّم البحث بتاريخ 1/ 5/ 2024م، وقُبِل للنشر بتاريخ 25/ 2/ 2025م.

للاقتباس: جزيرة، هاني سمير أمين (2025). "الـمُحدِّدات المنهجية للتعامل مع القرآن الكريم في فكر طه جابر العلواني"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، مجلد 31، العدد 109، 77-108.

DOI: 10.35632/citj.v31i109.13847

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2025

مُقدِّمة

كَثُرَت التفاسير التي حاولت أنْ تُوضِّح للناس معاني القرآن العظيم ومبانيه في إطار الضوابط العِلْمية والأُسس المنهجية التي وضعها علماء الأُمَّة الـمُتخصِّصون في هذا الحقل؛ لكيلا يضلَّ الـمُفسِّر، فيُحرِّف معاني القرآن الكريم، ويُخرِجها عن سياقاتها ومقاصدها الحقيقية.

وفي هذا السياق، فقد مَرَّ تفسير القرآن الكريم بمسارات مُتعدِّدة على مدار التاريخ الإسلامي، كان أوَّلها المسار الصحيح، مُمَثَّلاً بعصر الرسالة، تلاه عهد الصحابة، فزمن التابعين. بعد ذلك شهد العالَم الإسلامي ظهور مسارات مُنحرِفة، تجاهل بعضها الضوابط اللغوية والضوابط النقلية في التفسير، واعتمد بعضها الآخر على المشارب الروحية، أو المشارب الباطنية، أو الموروث الثقافي الخرافي للأُمم والشعوب التي سبقت الإسلام. وقد أسفر ذلك كلُّه عن انحراف في بعض مناحي الفكر الإسلامي.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنَّنا بحاجة مُلِحَّة إلى إدامة النظر، وإجالة الفكر، وقدح زناد العقل الفينة بعد الأُخرى؛ لوضع ضوابط ومُحدِّدات منهجية للتعامل الأمثل مع القرآن الكريم، لا سيَّما أنَّ الأزمات التي تعانيها الأُمَّة، وحالة التبعية الحضارية التي تَحْكمها، والانسحاق الحضاري الذي أثقل كاهلها ليس وليد اللحظة، وإنَّما هو عَرَضٌ لمَرَضٍ يتمثَّل في شرود الأُمَّة وبُعْدها عن المنهج القرآني الذي إنْ أخذت به أصبحت سيِّدة الأُمم كسابق عهدها.

ثمة كثير من العلماء سخَّروا أفكارهم وأقلامهم لوضع ضوابط ومُحدِّدات منهجية للتعامل مع القرآن الكريم، وكان من بين هؤلاء العلماء طه جابر العلواني؛ فقد جعل مشروعه الإصلاحي والفكري يدور حول القرآن الكريم، وكيفية التعامل معه تنظيراً وتطبيقاً.

وتتمثَّل أهمِّية هذه الدراسة في ما يأتي:

1. الوقوف على الـمُحدِّدات المنهجية للقرآن الكريم.

2. التطبيق العملي لهذه الـمُحدِّدات اعتماداً على مُؤلَّفات العلواني.

3. بِناء منهجية في تدبُّر القرآن الكريم للوصول إلى هداياته.

4. الخروج من الأزمة التي تعصف بالعالَم الإسلامي، وذلك بفهم هذه الـمُحدِّدات، وتطبيقها في واقعنا المعاصر.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما المقصود بالـمُحدِّدات المنهجية؟

2. ما المقاصد العُليا الحاكمة للقرآن الكريم؟

3. ما المقصود بالجمع بين القراءتين؟ وما كيفيته؟

4. ما الوحدة البنائية للقرآن الكريم؟

5. كيف تُفهَم مسألة النسخ ومسألة الـمُحْكم الـمُتشابِه؟

6. كيف يُفهَم لسان القرآن الكريم؟

وبناء عليه تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تعرُّف الضوابط والـمُحدِّدات المنهجية في التعامل مع القرآن الكريم.

2. إعادة بِناء منهج التعامل مع القرآن الكريم.

3. إعادة وعي أبناء الأُمَّة بالقرآن الكريم، وتعريفهم به.

4. إعمال النظر في القرآن الكريم وتدبُّره بناءً على هذه الضوابط.

5. إبراز جهود العلواني العِلْمية في الدراسات القرآنية.

استقرأت الدراسة بعض الدراسات التي تناولت الـمُحدِّدات المنهجية للتعامل مع القرآن الكريم. ومن أهمها:

1. ربيع حمداوي، "الـمُحدِّدات المنهجية وأثرها في المعرفة الأصولية"، **مجلَّة المدونة**، الهند: مجمع الفِقْه الإسلامي، السنة السابعة، مج7، ع24، 25 يوليو 2020م.

2. فاطمة الزهراء الناصري، "المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة عند العلّامة طه جابر العلواني"،

مجلَّة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات القرآنية، ع4، 2016م.

3. القاضي أبو بكر ابن العربي، **الناسخ والمنسوخ**، ط1، بيروت: دار الكتاب العلمية، 1997م.

4. زياد خليل الدغامين، **دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني**، ط1، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2009م.

5. السيِّد عمر، **جامع فِقْه الأُمَّة رحيق الحقيبة المعرفية للعلّامة طه جابر العلواني**، ط1، المنصورة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي- دار الكلمة، 2021م.

والـمُحدِّدات المنهجية القرآنية التي ستتطرق إليها الدراسة هي أُسس مرجعية وقواعد منهجية يُتوصَّل إليها باستقراء الخطاب الشرعي بوصفه الناظم الكُلِّي للأفكار وأشكال الوعي. ومن ثَمَّ، فإنَّ الوعي المنهجي يُعَدُّ ضرورة مُلِحَّة لنجاح أيِّ عمل؛ لأنَّه يرسم طريق الوصول إلى الغاية والمقصد بسهولة ويُسْر. فمَنِ استقام منهجه رَشُد سعيه الفكري، وصَلُح بناؤه المعرفي، ومَنْ فَسَد منهجه ضَلَّ سعيه، وفَسَد عطاؤه (حمداوي، 2020، ص308). وبناء عليه ستنتظم الدراسة في ستة محاور تعالج المحددات المنهجية القرآنية للعلواني، وهي:

أ. الـمُحدِّد الأوَّل: مراعاة المقاصد العُليا الحاكمة عند تفسير القرآن الكريم.

ب. الـمُحدِّد الثاني: الجمع بين القراءتين.

ت. الـمُحدِّد الثّالث: الوحدة البنائية للقرآن الكريم والاستيعاب الكوني.

ث. الـمُحدِّد الرابع: رؤية العلواني لمسألة النسخ.

ج. الـمُحدِّد الخامس: مسألة الـمُحْكم والـمُتشابِه.

ح. الـمُحدِّد السادس: مراعاة لسان القرآن الكريم.

الـمُحدِّد الأوَّل: مراعاة المقاصد العُليا الحاكمة عند تفسير القرآن الكريم

أَوْلى العلماء موضوع مقاصد الشريعة جُلَّ اهتمامهم لِـما يُمثِّله من ركيزة أساسية في المنظومة الفكرية الإسلامية بوجه عام. ويُعَدُّ كتاب "الموافقات" للإمام الشاطبي تنظيراً عميقاً لموضوع

المقاصد. غير أنَّ العلماء الـمُسلِمين أبدَوا اهتماماً -في الوقت نفسه- بمقاصد من نوع آخر، هي مقاصد القرآن الكريم. وقد تمثَّل ذلك في صورتين؛ الأولى: الكشف عن مقاصد السور سعياً إلى بلوغ الفهم السليم لكلِّ سورة في وحدتها الموضوعية، والثانية: العناية بهذه المقاصد بالنظر إلى القرآن الكريم جملة، كما في كتاب "الوحي المحمدي" للشيخ محمد رشيد رضا (في ما يختصُّ بالجانب النظري التأطيري)، وكتاب "فتح البيان في مقاصد القرآن" للشيخ صديق حسن القنوجي (في ما يختصُّ بالجانب التطبيقي الـمُفسِّر لنظرية المقاصد القرآنية) (الناصري، 2016، ص219-220).

أمّا ما قام به العلواني فهو نوع آخر من الاشتغال بموضوع مقاصد القرآن الكريم، أسفر عن تسطير مقاصد عُليا حاكمة يُمكِن عَدُّها كُلِّيات مُطلَقة قطعية، وقد أجملها العلواني في خمسة مقاصد، هي: التوحيد، والتزكية، والعمران، والأُمَّة، والدعوة. وهذه المقاصد الخمسة تُشكِّل منظومة القِيَم القرآنية العُليا (العلواني، 1981، ص15)؛ فلا يَسَعُ الـمُتفهِّم للقرآن الكريم أو الـمُفسِّر له أنْ يغفل عن دراسة مقاصده، أو الوقوف على أسرار خطابه وغايات آياته في الإنسان والكون والحياة. وقد أشار العلواني كذلك إلى مستوى ثانٍ من مستويات المقاصد، هو القِيَم، مثل: العدل، والحرية، والمساواة.

ثمَّ أشار العلواني إلى مستوى ثالث للمقاصد، مُمثَّلاً في مقاصد الـمُكلَّفين، في ما سمّاه الأصوليون والفقهاء مقاصد الشريعة، وهي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات. وبذلك عَدَّ العلواني ما قدَّمه الشاطبي وغيره من علماء المقاصد داخلاً ضمن مستويات المقاصد العائدة إلى الـمُكلَّفين؛ فهي وحدها غير قادرة على تناول جميع مُستجدّات الحياة ومعالجتها إلى يوم الدين بحسب تعبير العلواني (العلواني، 1981، ص15).

والظاهر أنَّ العلواني أراد تجاوز تلك المقاصد التقليدية بالتركيز على المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة بوصفها قِيَماً عُليا حاكمة؛ إذ قال في ذلك: إنَّ المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة كُلِّيات مُطلَقة قطعية، تنحصر مصادرها في المصدر الأوحد في كُلِّيته وإطلاقه وقطعيته وكونيته وإنشائه للأحكام،

أَلَا وهو القرآن المجيد. وهي التي دارت حولها آيات الكتاب الكريم في سوره كلِّها، وعليها قامت أعمدة وحدته البنائية، وبها يتمُّ الجمع بين القراءتين، وهي مقاصد قادرة على القيام بالتصديق على كلِّ ما أنتجه الـمُسلِمون من فِقْه وأصول وتفسير، والهيمنة عليه واستيعابه وتجاوزه بشكل منهجي (العلواني، 2001 أ، ص167).

وإذا نظرنا إلى مقصد التوحيد، وأخذناه أُنموذجاً للمقاصد الخمسة المذكورة آنفاً، فإنَّنا نجد أنَّ العلواني قد جعله على رأس المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة، داعياً إلى إخراجه من الرؤية الضيِّقة التي حدَّدته في تأطير العلاقة بين الإنسان وخالقه، والكشف عن أبعاده الحضارية والعمرانية والمعرفية؛ لِـما يُقدِّمه من إجابات حاسمة عمّا يُعرَف في الفلسفة بالأسئلة الكُبرى أو الأسئلة النهائية. فالإنسان الـمُوحِّد يحمل رؤية خاصَّة للحياة والكون والإنسان والخالق والطبيعة، يَحضُر فيها البُعْد الغيبي بعيداً عن الخرافة. وهي رؤية يُقدَّم فيها العقل، ولا يُؤلَّه. وفيها يُنظَر إلى المادة بوصفها آليَّةً لا إلهاً، وكذا يُنظَر فيها إلى العلاقة بين الإنسان والطبيعة بوصفها علاقة بِناء وتسخير، لا علاقة تدمير وصراع.

ولهذا، فالتوحيد هو حجر الزاوية في تكوين الرؤية الكُلِّية عن الكون والحياة والإنسان (العلواني، 2003، ص51). و"التوحيد وحده يستطيع أنْ يحسم ذلك الجدل الذي تمزَّغت البشرية فيه -ولا تزال- حول حقيقة العالَم وحقيقة الخالق، والوصول إلى طبيعة العلاقة بينهما. ولا يزال هذا التخبُّط مصدراً ومنبعاً لكثير من الشَّرِّ والمصائب والصراعات والحروب ونظرات الاستعلاء والدونية بين الشعوب" (العلواني، 2003، ص54).

إنَّ موضوع المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة -كما طرحه العلواني- يُؤكِّد مشروعية التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، ويُؤسِّس بِناءً مقاصدياً جديداً قام على استقراء تامٍّ لآيات القرآن الكريم وسوره. ومن الـمُؤمَّل أنْ يؤدِّي ذلك إلى جَسْرِ هُوَّة الخلاف بين الـمُفسِّرين، وضبط عملية التفسير.

الـمُحدِّد الثاني: الجمع بين القراءتين

أفرد العلواني فِقْرة للحديث عن الجذور التاريخية لمنهجية الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون في التراث الإسلامي (العلواني، 1996أ، ص58–59)، مُبيِّناً أنَّ العديد من العلماء قد تناولوا هذا الموضوع في مُؤلَّفاتهم، مثل: الحارث المحاسبي الذي أورد إشارات إلى معادلة القرآن الكريم للكون في كتابه "العقل وفهم القرآن" (المحاسبي، 1917، ص232)، والإمام الفخر الرازي الذي تحدَّث في تفسيره "مفاتيح الغيب" عن التطبيق العملي لهذه المعادلة من خلال تفسير القرآن الكريم، وأورد فيه كثيراً من مسائل الكون، مشيراً إلى قول بعض الـمُفسِّرين: "لقد أكثرت في تفسير القرآن من ذِكْر عِلْم الفَلَك والهيئة وغيرها"، ومجيباً عن ذلك بالقول: إنَّني ما أكثرت، ولكنَّ القرآن الكريم يشير إلى ذلك (الرازي، 1999، ج14، ص272).

ومن هنا جاء اهتمام العلواني بفكرة الجمع بين القراءتين؛ إذ كرَّرها في جميع دراساته، وأفرد لها مُؤلَّفاً سمّاه "الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون"، وتحدَّث فيه عن كتابين يجب قراءتهما معاً: كتاب مُنـزَّل مُعجِز هو القرآن الكريم، وكتاب مخلوق مفتوح هو الكون والتجارب البشرية فيه، مُبيِّناً أنَّ فكرة الجمع بين القراءتين "كانت هي المنهجية البارزة للصدر الأوَّل، الـمُتمثِّلة في الربط بين النصِّ والواقع، وذلك بالتفاعل السليم بين العقل المهتدي والنصِّ المعصوم، والواقع الـمُتغيِّر." وقد أكَّد العلواني أنَّ منهج الجمع بين القراءتين ظلَّ قائماً حتّى ظهور العلوم الوسيطة التي تحوَّلت إلى حائل بين العقل الـمُسلِم والنصِّ الموحى به والكون وقضاياه (العلواني، 1996 أ، ص 26).

وفصَّل العلواني الحديث عن أهمِّية الجمع بين القراءتين، وما يُمكِن أنْ يؤدِّي إليه ذلك، وما قد ينتج منه؛ مُؤكِّداً أنَّ الجمع بين القراءتين يُعَدُّ أهمَّ مُحدِّد منهجي لِبناء معرفتنا؛ سواء أكانت هذه المعرفة كونية أم اجتماعية أم إنسانية. فقراءة الوحي وقراءة الكون هما السبيلان المناسبان للخروج من أزمات المعرفة المعاصرة، وما أفضت إليه من لَبْس ليس على مستوى العالَم الإسلامي فحسب، بل على مستوى العالَم أجمع (العلواني، 2001ب، ص74–75).

لا شكَّ في أنَّ هاتين القراءتين فريضتان شرعيتان وضرورتان حتميتان، وأنَّ أيَّ إخلال في العلاقة بينهما -وإنْ لم يصل إلى حَدِّ الانفصال- سيؤدّي إلى كثير من التَّبِعات التي تُؤثِّر سلباً في الفرد والمجتمع والأُمَّة؛ ما يُؤكِّد أنَّ كُلّاً من القراءتين بحاجة إلى الأُخرى (العلواني، 2014 أ، ص21).

فالاقتصار على قراءة الوحي، مع إعمال قراءة الكون، يوقِع الإنسان في مزالق فكرية خطيرة، مثل: النفور من الدنيا، واستقذار مَلذّاتها؛ ما يُفْضي إلى تعطيل طاقات الإنسان، التي يُمكِنها أنْ تُسهِم إسهاماً فاعلاً في البِناء والعمران، وهو ما يَحول دون الاضطلاع بأعباء الخلافة في الأرض، والإفادة الـمُثلى من نعمة التسخير. أمّا الاقتصار على قراءة الوحي دون قراءة الكون فيؤدّي -في نظر العلواني- إلى الخلط بين عالَم الغيب وعالَم الشهادة، وكذا الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي والإرادة الإنسانية وقضايا الاختيار والعِلَل والأسباب (العلواني، 2014 أ، ص25-26).

والاقتصار على قراءة الكون وحده، إغفال قراءة الوحي أو إهمالها، يُفْضي إلى كثير من الآثار السلبية والعواقب الوخيمة، مثل: فقدان علاقة الإنسان بالله تعالى، وتجاهل البُعْد الغيبي، والتوحيد بين الإنسان والطبيعة بناءً على فلسفة إنسانية مُستقِلَّة وضعية مُنبتَّة الصلة بالله تعالى؛ فهي تَعُدُّ الخالق والكون مُجرَّد ماورائيات أو ميتافيزيقا، يُمكِن تجاهلها أو تجاوزها. وفي حال تمَّ ذِكْر الله تعالى، فإنَّ ذلك يأخذ شكلاً حلولياً، بزعم أنَّ الله تعالى قد حَلَّ في الطبيعة، وصولاً إلى المادية الجدلية التي تُنكِر وجود الخالق إنكاراً كاملاً (العلواني، 2014 أ، ص22-25).

لهذا أكَّد العلواني وجوب الجمع بين القراءتين، وبيَّن كيفية الجمع بينهما، مُنوِّهاً بأنَّ المدخل الرئيس للجمع بين القراءتين هو البَدْء باكتشاف العلاقة المنهجية بين الناظم المنهجي لآيات القرآن الكريم الذي أعطى القرآن الكريم وحدته البنائية وإعجاز نَظْمه. ثمَّ بيَّن العلواني السُّنَن والقوانين المبثوثة في الوجود التي تُهيمِن على حركته للكشف عن الناظم المنهجي الذي يربط بينهما؛ فالقرآن الكريم وحي إلهي نتعقَّل به هذا الوجود، ونتفهَّمه، ونتدبَّره على أساس أنَّ القرآن الكريم مُطلَق

ومحيط وشامل. وبقَدْر ما تتَّسع معرفتنا للاثنين معاً، بقَدْر ما تتكوَّن لدينا القدرة على الجمع بين القراءتين (العلواني، 2014 أ، ص59).

كذلك نبَّه العلواني على ضرورة اكتشاف التداخل المنهجي بين منهجية الوحي والكون؛ فمنهجية القرآن الكريم مُوازِية لمنهجية الوجود، ولا ينبغي الاقتصار على قول ذلك نظرياً، أو إدراجه في دائرة فضائل القرآن الكريم، وإنَّما يجب اكتشاف ذلك التداخل بصورة عملية (العلواني، 2014 أ، ص59).

ورأى العلواني وجوب الجمع بين القراءتين بوصف ذلك شرطاً مُسبَّقاً للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية في مستوياتها العالمية والمحلية، مُبيِّناً أنَّ مَنْ يضطلع بهذه الـمَهَمَّة لا بُدَّ أنْ يكون مِمَّنْ أُوتي القرآن الكريم، ونال حظّاً من العلوم والمعارف يُمكِّنه من اكتشاف التداخل المنهجي بين القرآن الكريم والكون والإنسان (العلواني، 2014 أ، ص59).

الـمُحدِّد الثّالث: الوحدة البنائية للقرآن الكريم والاستيعاب الكوني

ذكر العلواني أنَّ الوحدة البنائية هي نواة المنهجية القرآنية، وأكَّد في جميع دراساته ضرورة الإيمان بالوحدة البنائية بوصفها خطوةً منهجيةً لازمةً في التعامل مع القرآن الكريم، وعاملاً مُهِمّاً في فهم القرآن الكريم وحُسْن تفسيره ودِقَّة تأويله؛ فهذه الوحدة البنائية الـمُتولِّدة من دِقَّة نَظْم القرآن الكريم سارية في القرآن الكريم كلِّه، وماثلة في مختلف أجزائه.

والوحدة البنائية هي مُركَّب وصفي، وكلمة (الوحدة) تُقابِل الكثرة والتعدُّد، ومن ثَمَّ إذا كان الشيء واحداً فهذا يعني أنَّه ليس مُتعدِّداً، ولا قابلاً للكثرة والتكرار. كذلك تأتي "الوحدة" بمعنى الثناء، مثل قولنا: فلان واحد دهره؛ أيْ لا نظير له (العلواني، 2006، ص11). ولـمّا كان القرآن الكريم مُنفصِلاً عن سائر الكتب الـمُنـزَّلة وغير الـمُنزَّلة، ومُتفوِّقاً عليها جميعاً بخصائصه ومزاياه ونَظْمه وبلاغته وفصاحته، فإنَّه واحد في داخله بهذه المزايا والخصائص.

ويُقال: الله الأوحد والـمُتوحِّد؛ أيْ ذو الوحدانية (الفيروز آبادي، 2005، ص324)، ولا يُشرِكه أحد في هذه الوحدانية. إذن، المقصود بهذا الـمُركَّب (وحدة القرآن البنائية) هو أنَّ القرآن الكريم واحد لا يَقبل بناؤه وإحكام آياته التعدُّد، أو التجزئة في آياته، أو التعضية (قبول بعضه، ورفض بعضه الآخر). كذلك لا يَقبل التناقض أو التعارض (العلواني، 2006، ص14). فهذا الحال يشمل القرآن الكريم كاملاً؛ ما يعني أنَّه جميعاً كالكلمة الواحدة، وكالجملة الواحدة في كلِّ سوره وأجزائه، لكنَّه يتَّسع حتّىٰ يصبح كوناً يُعادِل الكون كلَّه، بل يستوعبه، ويضمُّه تحت جناحيه، حتّىٰ تراه أشبه بالكلمة الواحدة، وعين الماء الجارية التي لا تتوقَّف، ولا تغيض، ولا تغور، ولا تنضب من حيث المعاني التي تشتمل عليها، والصور الرائعة المثيرة التي ترسمها في ذهن السامع، والآثار العظيمة التي تتركها في نفسه (العلواني، 2006، ص48).

تتبَّع العلواني جذور الوحدة البنائية وتقصّىٰ تاريخها، فتَبيَّن له أنَّ هذه الوحدة -بوصفها مصطلحاً في الإطار الذي يُقدِّمه- لم تكن دارجة علىٰ ألسنة الـمُتقدِّمين، وأنَّ بذورها وبراعمها الأولىٰ نمت في أوساط البلاغيين وأصحاب البيان الذين سارعوا إلىٰ التقاط الـمُوجِّهات القرآنية والأضواء النبوية والإشارات التي بَثَّها بعض الصحابة، ثمَّ بنَوا عليها نظرية النَّظْم وفلسفة التحدّي ودلائل الإعجاز وغير ذلك من التخصُّصات والأقسام التي احتضنت بذور الوحدة البنائية، وتعهَّدتها بالعناية والرعاية؛ فلا شكَّ في أنَّ كثيراً من الأفكار الـمُهِمَّة تبرز أحياناً في إطار أفكار أُخرىٰ (العلواني، 2006، ص49).

إنَّ أهمِّية القول بالوحدة البنائية للقرآن الكريم تتمثَّل في ما يأتي:

1. حفظ منظومة القرآن الكريم الداخلية، وعصمة القرآن الكريم من التغيير والتحريف (العلواني، 2006، ص17-18).

2. دعم جهود إعادة بِناء العلوم والمعارف الإسلامية في ضوء مقاصد القرآن الكريم ومرجعيته الحضارية (العلواني، 2006، ص18).

3. تحفيز تدبُّر القرآن الكريم، والتفكُّر فيه. قال العلواني في ذلك: "القرآن الكريم أراد الله له أنْ يُقرَأ ويُتدبَّر، ويُتفكَّر فيه؛ فأودع الله فيه كلَّ ما يجعله جاذباً لأصناف الخَلْق كافَّةً، مُستدعِياً لهم لقراءته، قادراً على صنع الدوافع والدواعي والإرادات لترتيله وتلاوته، ووحدته تُمثِّل الركن الأساس في هذا كلِّه؛ فالقرآن بِناء مُحْكم، ونَظْم مُتفرِّد واحد، تسري فيه كلِّه روح واحدة تُحوِّله إلى كائن حيٍّ يُخاطِبك كفاحاً، ويشتبك معك في جدل شامل يجيب به عن تساؤلاتك، ويُسقِط عنك إصر شُبُهاتك، ويعيد تصميم تصوُّراتك وبِناء قواعد ومُنطلَقات أفكارك وتصحيح معتقداتك حتّى يضعك على الصراط المستقيم؛ لتستقيم على الطريقة، وتبلغ شاطئ الحقيقة" (العلواني، 2006، ص18).

4. التصدّي لمحاولات الطعن في القرآن الكريم؛ فجميع المؤامرات التي حيكت لإقصاء القرآن الكريم عن ساحة الفعل الحضاري بحُجَّة التجديد والنقد تهاوت أمام وحدته البنائية، وارتدَّت خاسئةً حسيرةً؛ لأنَّ القرآن الكريم موحى به من عند الله تعالى، وتتجلّى فيه صفات الرحمن من الكمال والتوحيد. ومن ثَمَّ، فهو مُعجِز في نَظْمه، ومُعجِز في دلالاته، ومُعجِز في تناسبيته البيانية العجيبة (العلواني، 2006، ص15).

5. استعادة مَهَمَّة عِلْم التوحيد كما قدَّمه القرآن الكريم للبشرية، بوصفه أعلى القِيَم القرآنية العُليا الحاكمة وأساسها المتين (العلواني، 2006، ص55).

وتأسيساً على ذلك، جاءت الوحدة البنائية بعد الـمُحدِّد الثاني (الجمع بين القراءتين)، لتشمل القرآن الكريم كلَّه، وتتبوَّأ موقعاً مُهِمّاً بين الـمُحدِّدات المنهجية، مُنتظِرةً تفعيلها وتوظيفها بشكل منهجي دقيق، وهو ما يتطلَّب جهوداً مُكثَّفةً وأعمالاً دؤوبةً وبحوثاً رصينةً.

الـمُحدِّد الرابع: رؤية العلواني لمسألة النسخ

أَوْلى العلماء مسألة النسخ عنايتهم واهتمامهم، وأصبح النسخ مبحثاً أصيلاً في العلوم الشرعية. وتحدَّث العلماء كثيراً عن الغرض من النسخ ومآلاته وأسبابه. ومن هؤلاء العلماء: ابن العربي (ابن

العربي، 1997، ص4)، وابن كثير (ابن كثير، 1419هـ، ج2، ص378)، وقد نجد من يستعرض حضور النسخ أو عدم حضوره عند المتقدمين والمتأخرين (النحاس، 1996ب، ص5–6).

وفي مُقابِل ذلك، أنكرت النسخَ فئةٌ من علماء الـمُسلِمين، على رأسها: أبو مُسلِم الأصفهاني (ت: 322 هـ) الذي ألَّف كتاباً سمّاه: "جامع الرسائل في الناسخ والمنسوخ"، ونفى فيه ما ادُّعِيَ عليه النسخ من آيات الكتاب العزيز (الدغامين، 2009، ص20؛ الرازي، 1999، ص115).

وأورد بعض العلماء آراء من تحدثوا عن عدد الآيات المنسوخة وطبيعتها (عباس، 2015، ص24–25).

وقد ناقش العلواني الأدلَّة التي اعتمد عليها القائلون بالنسخ؛ إذ بدأ بمراجعة مفهوم النسخ عن طريق النظر المباشر في القرآن الكريم من دون أيِّ واسطة؛ ذلك أنَّ للقرآن الكريم لغته الخاصَّة ولسانه الـمُتفرِّد، وهو الأصل الذي يجب أنْ يكون إليه المرجع؛ نظراً إلى استيعابه اللغة، والإحاطة بها، والترفُّع بها عن سقطات اللسان العربي.

وقد ذكر العلواني أنَّ مادة النسخ في القرآن الكريم جاءت في أربعة مواضع، هي:

1. قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: 106]. وهذه الآية الكريمة تُمثِّل الأساس في مفهوم النسخ؛ فقد استدلَّ بها جميع القائلين بالنسخ. وفيها خلص العلواني إلى دلالة المضمون القرآني لمفهوم النسخ الـمُتمثِّل في نسخ النموذج الإسرائيلي، ببيان انتهاء زمن الأُمَّة اليهودية وآيتها واصطفائها، واستبدال خير أُمَّة أخرجها الله للناس بها (عمر، 2021، ص14–16).

2. قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: 154]. والمقصود بالنسخة هنا هو الكتابة؛ سواء عن أصل يُراد مثله، أو نسخ الأصل ابتداءً (العلواني، 2007، ص22).

3. قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ [الجاثية: 29]. فقد جاءت كلمة (نستنسخ) في هذا الموضع بمعنى نُقيِّد ونكتب. قال تعالى: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف: 80]؛ أيْ نريكم يوم القيامة في كتاب تلقَونه منشوراً قيداً بكلِّ ما فعلتم، بحيث لا يسعكم نفي ولا إنكار. ومن ثَمَّ، فإنَّ نسخ الكتب هو إثبات ما فيها لتكون نسخةً ثبتاً؛ أيْ لا تغيير عليها، ولا تبديل فيها، في ما يفيد التوثيق الكتابي (العلواني، 2007، ص22). والاستنساخ هو التقدُّم بنسخ الشيء (الأصفهاني، 2010، ص492).

4. قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج: 52]. فقد جاء في تفسير كلمة (ينسخ) أنَّها تعني التلاوة والقراءة، وقال كثير من الـمُفسِّرين في هذه الآية الكريمة: ألقى الشيطان في أمنيته؛ أيْ: في تلاوته وقراءته. وهذا الرأي يستند إلى قصة الغرانيق، وهي قصة لا أصل لها. قال ابن كثير في ذلك: "عن ابن أبي حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير، قال: قرأ رسول الله بمَكَّة سورة النجم، فلـمّا بلغ هذا الموضع: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم: 19–20]، قال ابن جبير: فألقى الشيطان على لسانه "تلك الغرانيق العلا، وإنَّ شفاعتين لترتجى"، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فأنـزل الله هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج: 52]." وقال أحمد نوفل في هذه المسألة: "نجد أنَّ التمنّي لا يخرج عن معناه المشهور الـمُتبادَر في اللسان وفي السياق سيان، وهو ترجّي إسلام القوم وهدايتهم. أمّا أنْ يتمكَّن الشيطان من الوحي ومن رسول الله، فهذا وهم الـمُبطِلين" (نوفل، 2007، ص167–168).

وقد أرجع العلواني هذه الروايات الغريبة والإسرائيليات الموضوعة إلى التطاحن المذهبي الذي أحدث هذا الانحراف والتشويه لمفهوم النسخ، فحجب العقول عن نور القرآن الكريم، مُؤكِّداً أنَّ

الأُمَّة يُمكِنها استيعاب مفهوم النسخ في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ لأنَّ المنسوخ من وساوس الشيطان، لا من آيات الله تعالى، ولا من سُنَّة رسوله (العلواني، 2007، ص24).

وتأسيساً على ما سبق، فقد خلص العلواني إلى القول: "جميع الآيات التي وردت مادة (نسخ) فيها لا يُراد بها تلك المعاني التي ذهب الأصوليون والـمُفسِّرون واللغويون إليها بناءً على ما سبق إلى الأذهان، واستقرَّ فيها من معانٍ اصطلاحية؛ رفع حُكْم بحُكْم، أو إبطال حُكْم مُتقدِّم بمُتأخِّر، أو بيان انتهاء مُدَّة الحُكْم، بل إنَّ المعاني التي جاءت في كتاب الله هي التي ينبغي أنْ تكون الأصل الذي يقاس به سواه" (العلواني، 2007، ص23).

ضوابط معرفة النسخ

تُعَدُّ مسألة النسخ واحدةً من أبرز المسائل التي تتطلَّب دِقَّةً وحذراً شديدين؛ لِـما يترتَّب عليها من نتائج مُهِمَّة وأحكام حاسمة. ولهذا، فإنَّ الحُكْم على أحد النصَّين بأنَّه ناسخ أو منسوخ لا يخضع لاجتهاد الـمُجتهِدين، ولا يُؤخَذ فيه بقول لا يستند إلى حُجَّة، ولا يُقبَل فيه قول أيٍّ من الـمُفسِّرين، حتّى لو كان صحابياً، ما لم يثبت بطريق صحيح مُدعَّم بقرائن (عباس، 2015، ص13).

ومن ثَمَّ، فقد وضع العلماء ضوابط لمعرفة النسخ. ومن هؤلاء العلماء شهاب الدين القرافي الذي حَصَر طرائق معرفة النسخ في طريقتين اثنتين، قائلاً: يُعرَف النسخ بالنصِّ على الرفع، أو على ثبوت النقيض، أو الضدِّ. ويُعرَف التاريخ للنصِّ على التأخير، أو السَّنة، أو الغزوة، أو الهجرة. ويُعلَم بنسبة ذلك إلى زمان الحُكْم، أو برواية مَنْ مات قبل رواية الحُكْم الأخير (القرافي، 1973، ص321).

وبالنظر إلى تلك الضوابط، ما عدا الضابط الأوَّل، فقد ذكر العلواني أنَّ ما وضعه العلماء من طرائق للنسخ يكشف عن آثار خطيرة، منها: عَدُّ عامل الزمن السبيل لتعيين ما هو ناسخ وما هو منسوخ، فيصبح التأخُّر الزماني كافياً لجعل النصِّ الـمُتأخِّر (قامت فيه -في نظر الـمُجتهِد- النسبة أو علاقة التناقض أو التضاد أو التعادل أو التعارض بينه وبين الدليل الـمُتقدِّم) ناسخاً للمُتقدِّم

بقطع النظر عن أيِّ اعتبار آخر، وهو ما يمنح التأخُّر الزماني ميزة هائلة، ويجعل التقدُّم الزماني عبئاً يكفي لإبطال مفعول النصِّ، وإزالة أثره، وتبديله، وتغييره (العلواني، 2007، ص35).

يضاف إلى ذلك أنَّ اعتبار عامل الزمن في نظرية النسخ يُخضِع الخطاب لنوع من التاريخانية التي تنافي العموم والشمول والإطلاق؛ ذلك أنَّ أسباب النـزول وتواريخه ما هي إلّا أدوات يستأنس بها الفقيه -إنْ شاء- دون أنْ يكون ذلك عبئاً على النصِّ، أو أنْ يُؤثِّر فيه بناءً على عامل الزمن؛ فأسباب النـزول ليست حاكمة على الخطاب القرآني (العلواني، 2007، ص39).

صحيحٌ أنَّ طرائق معرفة النسخ وُضِعت لتدفع التهمة عن الفقيه بالتحكُّم في النصِّ القرآني، لكنَّ الواقع أثبت غير ذلك؛ إذ خرج الفقيه من منصب الحاكم بالنصِّ إلى منصب الحاكم عليه، فتحوَّل النصُّ من متبوع يتَّبعه المحكوم عليه (مُجتهِداً كان أو مُقلِّداً) إلى تابع لفهم الفقيه الذي يُحدِّد للنصِّ موقعه، ناسخاً أو منسوخاً، بحسب ما يصل إلى عِلْمه من تاريخ النـزول أو الورود (العلواني، 2007، ص38).

وبحسب العلواني، فإنَّ طرائق معرفة النسخ هي مسألة تخضع لاجتهاد الـمُجتهِد؛ ما يُحتِّم علينا مراجعة بيان وظيفة النسخ.

وظيفة النسخ

تتمثَّل وظيفة النسخ في رفع التعارض القائم في ذهن الـمُجتهِد وهو ينظر إلى دليلين، مُستخدِماً أدواته ووسائله المنهجية في التعامل مع النصِّ. فإذا كانت هذه الوسائل قاصرة عن إدراك معاني النصوص في سياقاتها الكُلِّية والجزئية، وفي وحدتها وتفرُّقها، وجب على الـمُجتهِد أنْ يعيد النظر في وسائله وأدواته المنهجية، وليس له أنْ يعالج إشكاليته الذهنية بالتحكُّم في النصِّ قبل بِناء المنهج الـمُلائِم للتعامل مع خطاب كوني مثل القرآن الكريم؛ فتحميل الخطاب مشكلة الـمُجتهِد أمر غير معقول منهجياً، ولا يستقيم مع واجب التلاوة حَقَّ التلاوة (العلواني، 2007، ص59).

أمّا بالنسبة إلى التعارض بين النصوص، فقد عَدَّ العلواني التعارض القائم في ذهن الـمُجتهِد إشكالاً منهجياً يجب تجنُّبه والابتعاد عنه؛ إذ قال: "إنَّ إشكالية التعارض في ذهن الـمُجتهِد التي وُضِعت نظرية النسخ لمعالجتها، إنْ صُوِّرت على أنَّها إشكالية في النصوص ذاتها، لكنَّها عند إنعام النظر تبدو ظاهرة في فِقْه التنـزيل لدى الفقيه، ويُعبَّر عنها بتحقيق المناط، أو بمعرفة كيفية إعمال النصِّ وتنـزيله على الواقع. وإعمال النصِّ يدور بين فهم الفقيه للنصِّ وبين قدرته على تنـزيله على الواقع الذي لا بُدَّ له من فهمه فهماً دقيقاً لا يعتمد على اللغة وحدها، بل على الإحاطة بأبعاد الواقع ومُتغيِّراته ووقائعه وسائر مُقوِّماته. لذلك إذا تمتَّع الـمُجتهِد بقدرة اجتهادية عالية على ربط النصِّ بالواقع وتنـزيله عليه، وكانت لديه خبرة بالـمُحدِّدات المنهجية لمنهجية القرآن المعرفية، كالجمع بين القراءتين، والوحدة البنائية وغيرها، فإنَّ قسماً كبيراً من الأدلَّة الجزئية التي يُظَنُّ تعارضها سوف ينتفي التعارض عنها أو التعادل" (العلواني، 2007، ص40).

وأضاف العلواني قائلاً: بدلاً من البقاء في مُسلَّمات استقرَّت في الأذهان مُبكِّراً، يُمكِن لكثير من أهل العِلْم أنْ يلتفتوا إلى خطورة القول بالنسخ، وأنْ يُدرِكوا أنَّ ما عَدّوه حَلّاً لرفع التعارض سيصبح إشكالية كبيرة تنال من سلامة النصوص القطعية الثابتة (العلواني، 2007، ص36).

الـمُحدِّد الخامس: مسألة الـمُحْكم والـمُتشابِه

اهتمَّ العلواني بمسألة الـمُحْكم والـمُتشابِه في القرآن الكريم، وأفرد لذلك كتاباً سمّاه "نحو موقف قرآني من إشكالية الـمُحْكم والـمُتشابِه"، واستعرض فيه إشكالية الـمُتشابِه في علوم القرآن، وقدَّم حلولاً لها بعد تجلية مفهوم الـمُحْكم والـمُتشابِه في القرآن الكريم. ثمَّ أوضح العلواني المقصد من مُؤلَّفه هذا، وهو تقويض الأُسس التي قامت عليها فكرة وقوع الـمُتشابِه في القرآن الكريم من أساسها، وإثبات استحالة وجود غامض ومُبهَم وغير مفهوم في القرآن الكريم بأدلَّة من القرآن الكريم نفسه؛ فالتنـزيل العزيز بَيِّن كلُّه ومُبيِّن لسواه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: 89].

اختلف الـمُفسِّرون اختلافاً شديداً في تعريف معنىٰ الـمُحْكم والـمُتشابِه؛ فمنهم مَنْ ضيَّق واسعاً، وحَصَر الـمُحْكمات في الوصايا العشر، وقَصَر الـمُشتبِهات علىٰ ما اشتُبِه علىٰ اليهود، وهي حروف المعجم في أوائل السور (رضا، 1990، ص135)، وقال بعضهم إنَّ الـمُحْكم هو ما لا تختلف فيه الشرائع، والـمُتشابِه هو الـمُجمَل، وهذا ما ذهب إليه الإمام الرازي (الرازي، 1999، ص137). ومنهم مَنْ قال إنَّ الـمُحْكم هو الناسخ، والـمُتشابِه هو المنسوخ، نقلاً عن ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله عنهما (رضا، 1990، ص144). ومنهم مَنْ قال إنَّ الـمُحْكم "ما كان دليله واضحاً كأدلَّة وحدانية الله، والـمُتشابِه ما تحتاج معرفته إلىٰ التدبُّر والتأمُّل" (العلواني، 2010، ص18). ومنهم مَنْ قال إنَّ الـمُحْكم هو "بيان الحلال والحرام، والـمُتشابِه ما أشبه بعضه بعضاً في المعاني، وإنِ اختلفت ألفاظه، ونسبه الطبري إلىٰ مجاهد" (الطبري، 2000، ج6، ص175).

وكان العلواني قد تحدَّث عن هاجس فكرة الغموض الذي سيطر علىٰ الـمُفسِّرين بوصفه معنىٰ للمُتشابِه، وعمّا يُقابِله من بيان بوصفه معنىٰ للمُحْكم. ومن هؤلاء الـمُفسِّرين القرطبي الذي قال: "وإنَّما الـمُتشابِه في آية آل عمران من باب الاحتمال والاشتباه، من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: 70]." أي التبس علينا (القرطبي، 1964، ص10). وهذا ما ذهب إليه بعض الـمُفسِّرين؛ إذ استندوا إلىٰ المعنىٰ اللغوي في تفسير الـمُتشابِه بالـمُلتبِس. والحقيقة أنَّ للمفهوم في اللغة معنيين: ما له أفراد أو أجزاء يُشبِه بعضها بعضاً، وما يلتبس فيه الأمر. وهؤلاء لم يُلاحِظوا المعنىٰ الأوَّل للمُتشابِه؛ لذا نبَّه العلواني علىٰ أنَّ الغموض والالتباس من عيوب الكلام التي لا تُتصوَّر إلّا في حَقِّ مخلوق، وأنَّ القرآن الكريم بيان للناس ليقطع حُجَّتهم، وأنَّ لكتاب الله تعالىٰ لساناً خاصّاً مُتفرِّداً مُعجِزاً في البيان.

عزا العلواني فكرة الـمُحْكم والـمُتشابِه إلىٰ طبيعة الغريزة الإنسانية التي تميل إلىٰ الهروب من حَمْل التكاليف بحُجَّة عدم وضوح خطاب التكليف، وقد تسعىٰ إلىٰ تقييده بشروط ليصبح مُتعسِّراً؛ بُغْيَةَ التهرُّب من التكليف كما فعل اليهود بذبحهم البقرة، مُدَّعين الغموض والالتباس. غير أنَّ اليهود لم يكونوا وحدهم مُتفرِّدين في هذا النهج؛ فها هم قوم سيِّدنا شعيب الذين ادَّعَوا عدم فهمهم

كثيراً مِمّا يقول نبي الله شعيب. ولهذا حذَّر العلواني من تقليد الأُمم الغابرة في هذه المسألة، مُبيِّناً أنَّ حال الأُمَّة اليوم أشبه بحال تلك الأُمم الهالكة، بالرغم من أنَّنا تُرِكنا على الـمَحجَّة البيضاء؛ فكيف تشوَّه مفهوم الـمُحْكم والـمُتشابِه، واستقرَّ في أذهان كثيرين أنَّ في القرآن المبين آيات مُلتبِسة موهِمة ومُبهَمة لا تُدرَك معانيها؟ (العلواني، 2010، ص21).

ثمَّ أوضح العلواني أنَّ سبب هذه الإشكالية هو القول بأنَّ القرآن الكريم نـزل بِلُغة العرب على النحو الذي بنى فيه علماء اللغة فلسفة العربية وقواعدها وضوابطها. وهذا القول بحاجة إلى إعادة نظر؛ لأنَّه يقوم على التسوية بين لسان القرآن العربي واللغة العربية. فاللغة تُعبِّر عن مضامين ثقافية واجتماعية واقتصادية لم يأتِ القرآن الكريم ليكون امتداداً لها، وإنَّما جاء القرآن الكريم ليكون المرجعية الـمُهيمِنة عليها؛ فهو ليس مُلتصِقاً ببيئة التلقّي، ولا ببيئة القراءة. ومن ثَمَّ، فإنَّ دعوى الغموض والالتباس بُنِيت من خارج سياق القرآن الكريم الذي هو بِنية واحدة مُحْكمة (العلواني، 2010، ص24-25).

ومِمّا زاد الطين بِلَّةً الخلافاتُ المذهبية التي استعرت نارها بين عموم الـمُسلِمين، وألقت بظلالها القاتمة على إشكالية الـمُحْكم والـمُتشابِه؛ فعِلْم الكلام نشأ من الاختلافات المذهبية، والنسبة إلى البدعة والشُّبْهة والكفر، وتعقُّب سقطات الآخرين بمنهجية التجزئة والتعضية. وهذا ما أصاب مفهوم الـمُحْكم والـمُتشابِه على أساس أنَّ الـمُتشابِه هو الغامض في دوّامة السِّجالات الكلامية؛ حتّى صُوِّر القرآن الكريم -على ألسنة أتباع الفِرَق الـمُتناحِرة- أنَّه خطاب للتفريق والتحزُّب، لا خطاب للتكليف والتقريب يهدف إلى شحذ الأفهام والهِمَم. ولهذا كان الواحد من أتباع هذه الفِرَق يَصِف الـمُخالِفين له في الرأي والاعتقاد بأنَّهم غُواة زائغون، وأنَّ ما يتبنَّونه من آراء إنَّما هو اتِّباع للمُتشابِه، وقد فات هؤلاء أنَّ القرآن الكريم هو حبل الله المتين والنور المبين الذي أمرنا أنْ نعتصم به جميعاً (العلواني، 2010، ص31-32)؛ فهو الحُكْم العاصم من الفُرْقة والزيغ.

الاتجاهات التفسيرية في نفي الغموض عن معنى الـمُحْكم والـمُتشابِه

أشاد العلواني بالجهود الذي بذلها بعض علماء التفسير في بيان مسألة الـمُحْكم والـمُتشابِه، وتخليص معنى الـمُتشابِه من الغموض، مُبيِّناً أنَّ ثَمَّة تفاسير ذهبت إلى أنَّ الـمُتشابِه هو ما استغلق على العامَّة دون الخاصَّة، وتطلَّب جُهْداً لفهم الـمُراد منه، وأنَّ بعض الـمُفسِّرين رأَوا أنَّ للقرآن مكنوناً يتجدَّد به فهمه. وفي هذا السياق، أجمعت التفاسير على أنَّ الـمُراد بالتشابه في قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: 23] هو التماثل والانسجام الداخلي في القرآن الكريم (العلواني، 2010، ص44-45).

كذلك أشار العلواني إلى جهود ابن تيمية في محاولته تخليص معنى الـمُتشابِه من الغموض؛ إذ أكَّد ابن تيمية أنَّه "ليس في القرآن ألفاظ مُلتبِسة أو كلام لا يُفهَم معناه مُطلَقاً، وكلُّ القرآن مُحْكم المعنى، وما عُدَّ مُتشابِهاً فهو إضافي، إنِ اشتُبِه فيه الضعيف لا يُشتبَه فيه الراسخ، بل القول كلُّه مُحْكم." وفي رأي العلواني، فإنَّ الـمُتشابِه هو من الموضوعات التي تُشبِه ما كان ينـزل على أهل الكتاب.

وقد ذكر ابن تيمية أنَّ القرآن الكريم كلَّه قابل للتفسير والفهم، ونبَّه على أنَّ قول أهل السُّنَّة بأنَّ "الـمُتشابِه لا يعلم تأويله إلّا الله" كان سبباً في ظهور تأويلات باطلة من أهل البدع، فأخذ هؤلاء يتكلَّمون في تأويل القرآن الكريم بآرائهم الفاسدة (ابن تيمية، 1398هـ، ص144). وها هو صاحب "المنار" يُلخِّص أقوال الـمُفسِّرين في بيان الـمُراد بكلٍّ من الـمُحْكم والـمُتشابِه، قائلاً: إنَّ ما ذكره السلف والخلف في التشابه يدلُّ على أنَّ معناه كلَّه معروف. وقد فسَّر محمد رشيد رضا هو وشيخه الإمام معنى الإحكام بأنَّه من إحكام النَّظْم وإتقانه، أو من الحكمة التي اشتملت عليها آيات القرآن الكريم؛ فالإحكام هو للكتاب الحكيم كلِّه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: 1]، وقد وُصِف كلُّه بالـمُتشابِه؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: 23]؛ أيْ يُشبِه بعضه بعضاً في هدايته وبلاغته وسلامته من التناقض والتفاوت والاختلاف ﴿ وَلَوۡ كَانَ

مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]. وقد سعى محمد رشيد رضا في تفسيره آية آل عمران إلى نفي أنْ يكون في القرآن الكريم ما لا يُعرَف معناه؛ فجوهر الاشتباه الذي تحدَّثت عنه تلك الآية هو عبارات، مثل (روح الله وكلمته)، ظَنَّها الزائغة قلوبهم من النصارى نافية للتوحيد (رضا، 1990، ص135–158).

منهج التدبُّر في معنى الـمُحْكم والـمُتشابِه في القرآن الكريم

أكَّد العلواني ضرورة التسليم بوجود منهج قرآني، وقراءة القرآن الكريم وَفقاً لضوابطه ومُحدِّداته؛ ما يُجنِّبنا إشكالية التقسيمات التي انبثقت عن القراءات التجزيئية، مثل: مقولة الـمُتشابِه، ومقولة النسخ؛ إذ يحتاج إعادة بِناء مفهوم الـمُحْكم والـمُتشابِه قرآنياً إلى مراعاة الـمُحدِّدات المنهجية القرآنية، وفي الصدارة منها الوحدة البنائية للقرآن الكريم، وقراءته كلُّه انطلاقاً منها، ثمَّ الوقوف الـمُتدبِّر الطويل عند أوَّل ما ينبغي النظر فيه، وهو الآيات الثلاث الآتية التي ورد فيها وصف القرآن الكريم بالإحكام والتشابه:

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: 1]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: 23]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: 7].

ثمَّ أخذ العلواني يُحلِّل هذه الآيات الثلاث، ويعيد تركيبها بناءً على سياقها، مع الإيمان بالوحدة البنائية للقرآن الكريم، والمقارنة بين السياقات الثلاثة، وسَبْر كلِّ وجه من معانيها. وفي معرض هذا التحليل، تناول العلواني بعض المفردات الواردة في الآيات الكريمة الثلاث، بَدْءاً بمفهوم الآية، وأُمِّ الكتاب، وأحسن الحديث الذي يجب أنْ نقضي أوقاتنا في تدارسه وتداوله، ثمَّ بيان الفرق بين كلمة

(نـزل) وكلمة (أنـزل)، والتمييز بين التأويل والتفسير والمثاني، والتنويه بأنَّ السبع المثاني في القرآن الكريم تُقابِل السباعيات في الكون. وقد نبَّه العلواني على ضرورة الجمع بين القراءتين، مُؤكِّداً أنَّ ذلك كلَّه يستدعي انتباه الـمُتدبِّر لِـما قد يقتضيه من زيادة في المعنى (العلواني، 2010، ص97–115).

ثمَّ خلص العلواني من ذلك التدبُّر إلى أنَّ جميع آيات القرآن الكريم وُصِفت بالـمُحْكمات في الآية رقم (1) من سورة هود، وأنَّها تدلُّ بإحكام وحكمة وحُكْم على حقيقة التوحيد بما لا يَدَعُ مجالاً للشكِّ والريبة والتردُّد قد يُوسوِس به الشيطان ضدَّ التوحيد. وهذا ما تنطق به كلُّ آية من آيات القرآن الكريم (العلواني، 2010، ص116). كذلك وُصِفت جميع آيات القرآن الكريم بالـمُتشابِهات في الآية رقم (23) من سورة الزمر؛ ذلك أنَّ القرآن الكريم جاء مُخاطِباً الناس كافَّةً، وأنَّه تفرَّد في أسلوبه الذي خاطب به الناس؛ ما يقتضي الكلام عن القرآن الكريم بصفته العامَّة وصفته الكُلِّية، لا بوصف وحداته الـمُكوِّنة له من آيات وسور، فيصبح التشابه في تلك الأوجه من الشبه دليل ثناء وصفة مدح للقرآن الكريم. وعندئذٍ، فلا معنى لحَصْر مفهوم التشابه في الغموض والالتباس (العلواني، 2010، ص119).

أمّا الآية رقم (7) من سورة آل عمران فجاءت على ذِكْر هذين النوعين مسبوقين بكلمة (منه) التبعيضية. ولا شكَّ في أنَّ لهذا الاختلاف دلالة؛ ذلك أنَّ هذه الآية تُقسِّم آيات الكتاب الحكيم إلى قسمين: الآيات الـمُحْكمات وهُنَّ أُمُّ الكتاب وأصله، والآيات الـمُتشابِهات اللاتي يُشبِهن ما ورد في الكتب السابقة من حيث الدلالة والمضمون، لكنَّ هذا التشابه جعل الذين في قلوبهم زيغ من أحبار ورهبان وأمثالهم يَصدّون عن سبيل الله تعالى. أمّا الآيات الـمُحْكمات اللاتي تفرَّد الكتاب الحكيم بهنَّ، وجعل منهنَّ أُمَّ الكتاب التي هي أصل لجميع الكتب فليست مُقنِعة -في نظرهم- بالقَدْر الكافي.

وأضاف العلواني بأنَّ الله تعالى أعطى كلَّ رسول آيات يتلوها على قومه لتطمئنَّ بها قلوبهم، في حين أعطى سبحانه خاتم النبيين سيِّدنا محمداً القرآن الكريم الذي تجاوزت فيه كلُّ آية جميع ما أُوتيه

الأنبياء من قبله؛ فهي آيات معصومات تُتْلى إلى يوم القيامة، وقد فُصِّلت بعِلْمه سبحانه، ولم يُجِبْ قوم سيِّدنا محمد لِما طالبوه به من خوارق ومُعجِزات (العلواني، 2010، ص84-127).

وقد ختم العلواني بالقول إنَّ الخطاب القرآني مُوجَّه إلى بشر عِلْمهم قاصر، وفيه غيب يُخبِرهم عن أشياء يُمكِنهم معرفة بعضها في الحياة الدنيا، في حين لا يعلم حقيقة بعضها الآخر إلّا الله تعالى. وما قولنا: "استأثر الله بعِلْمه" إلّا للتنبيه إلى الفرق بين الغيب الـمُطلَق والغيب النسبي. وهذا الأخير هو ما يُسمّيه بعض الـمُفسِّرين الـمُتشابِه في ضوء السقف المعرفي لعصرهم، ثمَّ يكشفه أهل عصر أعلى في سقفهم المعرفي من هؤلاء الـمُفسِّرين. ومهما يكن من أمر، فليس من حَقِّ أحد أنْ يوقِف القرآن الكريم عند حَدِّ فهمه هو وعصره، علماً بأنَّ تأويل القرآن الكريم ليس تفسيره، بل ظهوره في واقع الناس بتقدير الله تعالى؛ لذا أكَّد العلواني أنَّ القرآن الكريم هو الكتاب المكنون. فالخطاب الإلهي الـمُطلَق الـمُوجَّه إلى المخلوق النسبي يستلزم مكنوناً يستوعب الزمان والمكان، ومن غير المناسب وصف المكنون بأنَّه غموض والتباس بمنهجية تعضية جزئية (العلواني، 2010، ص61-121).

الـمُحدِّد السادس: مراعاة لسان القرآن الكريم

بناءً على رؤية العلواني للمنهجية القرآنية التي اقترحها حَلّاً لخروج الأُمَّة من أزمتها، بل لخروج العالَم أجمع من أزماته (لا يتمُّ الوصول إليها إلّا في شكل مُحدِّدات منهجية مُستنبَطة من القرآن الكريم نفسه)؛ فقد تناول لسان القرآن الكريم بوصفه مُحدِّداً منهجياً جديداً مُصدِّقاً ومُهيمِناً على جميع اللغات، بما في ذلك اللغة العربية؛ إذ قال: "فللقرآن الكريم لغته الخاصَّة التي عجز العرب عن الإتيان بمثلها، وله استعمالاته الخاصَّة التي تختلف عن استعمالاتنا البشرية. لذلك اختار البارئ -جَلَّ شأنه- أنْ يكون للقرآن لسانه الخاص به؛ ليتَّصل باللسان العربي كما يشاء، وينفصل عنه عندما يريد، ويُهيمِن عليه في سائر الأحوال" (العلواني، 2014ب، ص19-20).

خصائص لسان القرآن الكريم

1. لسان عربي

وُصِف القرآن الكريم بأنَّه لسان عربي، وتكرَّر هذا الوصف مَرّات عديدة في مواقع كثيرة من آياته وسوره، مثل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿٢﴾﴾ [يوسف: 2]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: 192–193]، وقوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿٣﴾﴾ [فصلت: 3]. فعروبة القرآن الكريم تُمثِّل إحدىٰ أهمِّ صفاته وخصائصه (العلواني، 2014ب، ص29). قال العلواني في ذلك: "وقد اختار الله أنْ يخاطب البشرية خطابه الأخير بهذا اللسان، واختار لحَمْل هذا الخطاب وتبليغه للناس رسولاً من أنفسهم، ناطقاً بلسان قومه؛ ليبدأ بهم، ويجعل منهم الحاملين للرسالة، يُبلِّغون عن الله ما أُنـزِل إلىٰ رسوله الكريم ﷺ" (العلواني، 2014ب، ص42–43).

والثابت أنَّ العربية لم تَحمل رسالة دينية قبل القرآن الكريم، ولم تُحمَّل بمعانٍ فلسفية ومعرفية قد تُزاحِم المعاني التي أراد القرآن الكريم إيصالها إلىٰ الناس؛ ما يعني أنَّها ستكون خالصة لمفاهيمه ومعانيه، فهي لسان مُحايِد استطاع القرآن الكريم تطويعها لمضامينه. وبينما جاءت رسالات جميع الرُّسُل بِلُغات أقوامهم لغرض الإفهام، فإنَّ رسالة خاتم النبيين سيِّدنا محمد ﷺ نـزلت بالعربية لغرض الإفهام والبيان والتحدّي والإعجاز (العلواني، 2014ب، ص3).

2. لسان عالمي

امتاز الإسلام بالعالمية رسالةً وخطاباً، مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: 28]، وقوله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: 27]، وقوله ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]. ولكنْ، كيف يُمكِن لخطاب واحد أنْ يستوعب البشرية –علىٰ اختلاف مشاربها– إنْ لم يكن هذا الخطاب قادراً علىٰ استيعاب خصوصيتها وسائر أنماطها الثقافية ومناهجها المعرفية؟

وقد جانب بعض الدارسين الصواب عند بحثهم في خصائص الخطاب الإسلامي، بظَنِّهم أنَّه خطاب حصري عربي قومي، انطلاقاً من أنَّ القرآن الكريم عربي لا يفهمه إلّا العرب، وأنَّه يُمثِّل خطاباً مُوجَّهاً فقط إلى عصر النبي وبيئته، ولا يتجاوزه إلى سواه (العلواني، 1996ب، ص34).

ولـمّا كان العلواني يهدف في دراسته "لسان القرآن ومستقبل الأُمَّة القُطْب" إلى إزالة كثير من اللَّبْس الذي أحاط به بعض الدارسين "لسان القرآن ومستقبل الأُمَّة القُطْب"، فقد أكَّد أنَّ القرآن الكريم وإنْ نـزل بِلُغة عربية لفظاً فإنَّه مُطلَق في معانيه، مُهيمِن محيط لِـما سبق من الأزمنة، مُستوعِب ما يليه من الأزمنة، وقادر على الاستجابة لكلِّ ظرف تاريخي بصرف النظر عن خصائصه أو سقفه المعرفي؛ ما يُمكِّنه من استيعابه، والاستمرار في تجاوزه نحو المستقبل بعد الوفاء بمُتطلَّباته من الهداية والحقائق والنور(العلواني، 1996ب، ص34؛ العلواني، 2004، ص11–44).

3. لسان مُعجِز

يُعَدُّ القرآن الكريم نمطاً باهراً مُعجِزاً ببيانه وبلاغته؛ فقد أعجز الجميع على أنْ يأتوا بمثله. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88]. كذلك خلا القرآن الكريم من سائر عيوب الألسن، بما في ذلك اللسان العربي نفسه؛ فلا تناقض فيه، ولا اختلاف، ولا غموض، ولا إبهام، ولا زيادة، ولا تَكرار، ولا ترادف، ولا اشتراك. ومَنْ آتاه الله شيئاً من التذوُّق للسان القرآن الكريم وشيئاً من المعرفة بلسان العرب، فإنَّه يستطيع إدراك سبب تمييز القرآن الكريم نفسه دائماً بالإبانة؛ فلم يُطلِق على لسانه اسم العربي إلّا وقد اقترن هذا الاسم بصفة البيان والوضوح والظهور؛ تنبيهاً لمزاياه، وتنويهاً بأنَّ نسبته إلى لسان العرب إنَّما هي نسبة الاستيعاب والتجاوز؛ فهو مُستوعِب للسان العرب بكلِّ مادته، ومُتجاوِز لها (العلواني، 2014ب، ص44).

صحيحٌ أنَّ لسان القرآن الكريم يتَّصل بكثير من الجذور اللغوية، لكنَّه ينفصل عنها ليكون بياناً ومبيناً وخطاباً يتَّصف بصفات تجعله أهلاً للتفوُّق على اللسان العربي كلِّه، وما التحدّي والإعجاز

الذي تحدّىٰ به الله تعالىٰ الخَلْق كافَّةً أنْ يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأعلن عن عجزهم عن ذلك بعد وجود الدواعي الكثيرة وانتفاء الصوارف؛ إلّا بعض مظاهر الانفصال عن لسان العرب، انفصال الـمِسْك عن دَمِ الغزال (العلواني، 2014ب، ص20).

4. لسان مفاهيمي

أَوْلىٰ العلواني موضوع المفاهيم أهمِّية خاصَّة، وأثارها في كثير من مُؤلَّفاته؛ إذ لم ينظر إلىٰ المفاهيم بوصفها ألفاظاً، وإنَّما عَدَّها مستودعات كُبرىٰ للمعاني والدلالات، تتجاوز كثيراً البِناء اللفظي، وتتخطّىٰ الجذر اللغوي لتعكس فلسفة الأُمَّة والدفائن والتراكمات الخاصَّة بفكرها ومعرفتها، مُنبِّهاً علىٰ أنَّ اليهود كانوا مهرة في صياغة المفاهيم وإشاعتها؛ ليكونوا هم الـمُفسِّرين لها والمرجع في بيانها. لهذا، فنحن بحاجة شديدة إلىٰ إعادة قراءة القرآن الكريم وتدبُّر آياته ومعرفة مفاهيمه، والالتزام بها، وعدم التلاعب بها، أو التساهل في استبدالها، أو استعمال غيرها في شؤوننا وشجوننا.

إنَّ الهدف من ذلك كلِّه هو تتبُّع المفردة القرآنية داخل السياق القرآني، وعدم تحكيم لسان العرب (النسبي) في القرآن (الـمُطلَق). وفي هذا السياق، قدَّم العلواني دراسة لمفهوم "الرجاء"؛ لبيان كيف تكون المفردة القرآنية مفهوماً كاملاً يطوي في مكنوناته كلَّ ما يُمكِن أنْ ينفتح المفهوم عليه من معانٍ علىٰ مَرِّ العصور (العلواني، 2014ب، ص76).

وقد سعىٰ العلواني إلىٰ بِناء قاموس قرآني مفاهيمي يعتمد علىٰ القرآن الكريم أساساً، وتكون فيه لغة العرب مساندة ومعضدة وحاكمية لكتاب الله تعالىٰ علىٰ كلِّ ما عداه من لسان العرب، آملاً أنْ يُشكِّل هذا القاموس رصيداً مفاهيمياً للبشرية، يُمكِّنها من الاستجابة لحاجات مختلف الأنساق الثقافية والحضارية (العلواني، 2014ب، ص79).

خاتمة

بعد أنْ مَنَّ الله تعالى علينا بإتمام هذه الدراسة نودُّ أنْ نُلفِت النظر -في ما يختصُّ بهذه الجهود العِلْمية- إلى أنَّه قد يُنظَر إليها بعين النقد، بما لها وما عليها، كما نظر العلواني إلى جهود السابقين؛ فجهوده أيضاً قابلة للنقد والمراجعة. فكلٌّ يُؤخَذ من كلامه، ويُرَدُّ عليه، إلّا صاحب الروضة الشريفة. وبذلك يكون العلواني قد فتح الباب لَمَنْ بعده ممدوحاً ومحموداً؛ سواء أكان ذلك من جهة الاجتهاد لإخراج منظومة ومُحدِّدات للتعامل مع القرآن الكريم، أم لنقد الأعمال الـمُتقدِّمة.

كان جُلُّ مشروع العلواني مُنْصَبّاً على استخراج منهج للتعامل مع التراث عامَّة والقرآن الكريم بوجه خاص، فقدّم مراجعات لبعض مباحث علوم القرآن الكريم، مثل: مسألة النسخ، ومسألة الـمُحْكم والـمُتشابِه، مُثبِتاً عدم وجود نسخ في القرآن الكريم، ومُبرهِناً أنَّه لا يوجد في القرآن الكريم مُتشابِه بمعنى غامض أو مُلتبِس. كذلك تناول العلواني عدداً من القضايا الأُخرى بالدرس والتحليل.

من الجليّ بالقول إنّ العلواني قد قدّم منظومة المقاصد العُليا الحاكمة للقرآن الكريم (التوحيد، والتزكية، والعمران، والأُمَّة، والدعوة) التي تُعَدُّ استكمالاً لجهود السابقين المقاصدية، ويُمكِن البِناء عليها؛ فهي منظومة يُمكِنها التصديق على كلِّ ما أنتجه الـمُسلِمون من فِقْه وأصول وتفسير، والهيمنة عليه، واستيعابه، وتجاوزه بشكل منهجي.

وبناء عليه ينبغي استكمال المتن المعرفي للعلواني من خلال:

أ. وضع طرائق تربوية لتدريس القرآن الكريم وتعليم مناهج تدبُّره، وجعل التدبُّر عِلْماً له ضوابطه ومبادئه.

ب. تفعيل المقاصد العُليا الحاكمة عند تفسير القرآن الكريم، بوصفها قِيَماً حاكمةً، وتجاوز المقاصد التقليدية.

ت. الجمع بين قراءة القراءتين؛ ما يُعزِّز وحدة الفهم بين التشريع والقِيَم الأخلاقية.

ث. التمييز بين الـمُحْكم والـمُتشابِه، والاستناد إلى الـمُحْكم في بِناء الفهم الديني.

ج. الاعتبار بخصائص اللسان القرآني في فهم الآيات والأحكام والتشريعات.

ح. الاشتغال بالمشروع الفكري الإصلاحي العلواني، ومناقشة أُطروحاته، واستكمال ما بدأه، وعدم الوقوف عند القضايا التي طرحها، بل الإتيان بجديد في ضوء الـمُحدِّدات المنهجية التي طرحها.

المراجع

الأصفهاني، الراغب حسين بن محمد (2010). المفردات في غريب القرآن، ط6، لبنان: دار المعرفة.

ابن تيمية، تقي الدين بن أحمد (1398هـ). **فتاوى ابن تيمية**، ط1، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي.

حمداوي، ربيع (2020). "المحددات المنهجية وأثرها في المعرفة الأصولية"، **مجلّة المدونة**، الهند: مجمع الفقه الإسلامي، السنة7، مج7، ع24، 25.

الدغامين، زياد خليل (2009). دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني، ط1، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (1999). **مفاتيح الغيب**، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.

رضا، محمد رشيد (1990). **تفسير المنار (تفسير القرآن الكريم)**، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

الطبري، محمد بن جرير (2000) **جامع البيان في تأويل القرآن، ط2**، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة.

عباس، فضل (2015). **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط2، الأردن: دار النفائس.

ابن العربي، أبو بكر (1997). **الناسخ والمنسوخ**، ط1، بيروت: دار الكتاب العلمية.

العلواني، طه جابر (1996أ). **إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2003). **التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة**، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2014أ). **الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون**، ط1، القاهرة: دار السلام.

العلواني، طه جابر (1996ب). **حاكمية القرآن الكريم**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2004). عربية القرآن ومستقبل الأمة القطب، **مجلة إسلامية المعرفة "الفكر الإسلامي المعاصر لاحقاً"**: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد35.

العلواني، طه جابر (2014ب). **لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب**، ط1، القاهرة: دار الشروق.

العلواني، زينب (1981). مُدارسة مع الشيخ طه جابر العلواني، "تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين"، [حوار]، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2001 أ). **مقاصد الشريعة**، ط1، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2001ب). **مقدمة في إسلامية المعرفة**، ط1، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2010). **نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه**، ط1، القاهرة: دار السلام.

العلواني، طه جابر (2007). **نحو موقف قرآني من النسخ**، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، روكسي.

العلواني، طه جابر (2006). **الوحدة البنائية للقرآن المجيد**، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

عمر، السيِّد (2021). **جامع فِقْه الأمة: رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني**، ط1، المنصورة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الكلمة.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (2005). **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القرافي، شهاب الدين (1997). تنقيح الفصول فيما يعرف بالأصول، ط1، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري (1964). الجامع لأحكام القرآن (تفسير **القرطبي**)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (1419هـ). **تفسير القرآن العظيم**، ط1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

المحاسبي، الحارث (1917). **العقل وفهم القرآن**، تحقيق: حسن القوتلي، ط1، بيروت: دار الفكر.

الناصري، فاطمة الزهراء (2016). "المقاصد القرآنية العليا الحاكمة عند العلامة طه جابر العلواني"، **مجلَّة الترتيل**، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات القرآنية، العدد4.

النحاس، محمد أبو جعفر (1996). **الناسخ والمنسوخ في القرآن**، ط2، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

نوفل، أحمد (2007). **قراءة في آية: "إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ"**، ط1، الأردن: دار الفضيلة.

References

ʿAbbas, F. (2015). *Itqān al-Burhān fī ʿUlūm al-Qur'ān* (2nd ed.). Dār al-Nafā'is.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1996). *Ḥākimiyyat al-Qur'ān al-Karīm*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1996). *Islāmiyyah al-Maʿrifah bayna al-Ams wa al-Yawm*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2001). *Maqāṣid al-Shārīʿah*. Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2001). *Muqaddimah fī Islāmiyyah al-Maʿrifah*. Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2003). *Al-Tawḥīd wa al-Tazkiyyah wa al-ʿUmrān: Muḥāwalāt fī al-Kashf ʿan al-Qayyim wa al-Maqāṣid al-Qur'āniyyah al-Ḥākimah*. Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2004). ʿArabiyyah al-Qur'ān wa Mustaqbal al-Ummah al-Quṭb. *Majallat Islāmiyyat al-Maʿrifah*, 35.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2006). *Al-Waḥdah al-Binā'iyyah li al-Qur'ān al-Majīd*. *Maktabat al-Shurūq al-Dawliyyah.*

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2007). *Naḥwa Mawqif Qur'ānī min al-Naskh*. Maktabat al-Shurūq al-Dawliyyah.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2010). *Naḥwa Mawqif Qur'ānī min Ishkāliyyat al-Muḥkam wa al-Mutashābih*. Dār al-Salām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2014). *Al-Jami' bayna al-Qirā'atayn: Qirā'ah al-Waḥī wa Qirā'ah al-Kawn*. Dār al-Salām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2014). *Lisān al-Qur'ān wa Mustaqbal al-Ummah al-Quṭb*. Dār al-Shurūk.

Al-ʿAlwānī, Z. (1981). *Mudārisah maʿa al-Shaykh Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī: Taṭawwur al-Manhaj al-Maqāṣidī ʿinda al-Muʿāṣirīn* [ḥiwār]. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Al-Daghamin, Ziad Khalil. (2009). *Daʿwá al-Naskh fī Ḍaw' Wāqiʿiyyah al-Khiṭāb al-Qur'ānī*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Al-Fīrūzābādī, M. (2005). *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ*. Mu'assasat al-Risālah li al-Ṭibāʿah wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

Al-Muḥāsibī, Al-Ḥ. (1917). *Al-ʿAql wa Fahm al-Qur'ān* (Ḥ al-Qūtlī, Ed.). Dār al-Fikr.

Al-Naḥās, M. (1996). *Al-Nāsikh wa al-Mansūkh fī al-Qur'ān* (2nd ed.). Mu'assasat al-Kutub al-Thaqāfiyyah.

Al-Nāṣirī, F. (2016). Al-Maqāṣid al-Qur'āniyyah al-ʿUlyā al-Ḥākimah ʿinda al-ʿAlāmah Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī. *Majallat al-Tartīl*, 4.

Al-Qarāfī, Sh. (1997). *Tanqīḥ al-Fuṣūl fīmā Yaʿrifu bi al-Uṣūl* (Ṭ. ʿAbd al-Ra'ūf Saʿd, Ed.). Sharikat al-Ṭibāʿah al-Fanniyyah al-Muttaḥidah.

Al-Qurṭubī, A. (1964). *Al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qur'ān (Tafsīr al-Qurṭubī)* (2nd ed.) (A. al-Baraddūnī & I. Aṭṭafayyish, Eds.). Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Al-Rāzī, F. (1999). *Mafātiḥ al-Ghayb* (3rd ed.). Dār al-Kutb al-ʿIlmiyyah.

Ḥamdāwī, R. (2020). Al-Muḥaddidāt al-Manhajiyyah wa Atharuhā fī al-Maʿrifah al-Uṣūliyyah. *Majallat al-Mudawwanah*, 7(24, 25).

Ibn Al-ʿArabī, A. (1997). *Al-Nāsikh wa al-Mansūkh*. Dār al-Kitāb al-ʿIlmiyyah.

Ibn Kathīr, I. (1419 AH). *Tafsīr al-Qur'ān al-Aẓīm* (M. Shams al-Dīn, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Taymiyyah, T. (1398 AH). *Fatāwā Ibn Taymiyyah* (A. al-ʿĀṣimī, Ed.). n.p.

Nawfal, A. (2007). *Qirā'ah fī Āyah: "illā idhā tamannā alqā al-shshayṭānu fī umnīyatihi"*. Dār al-Faḍīlah.

Riḍā, M. (1990). *Tafsīr al-Manār (Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm)*. Al-Hay'ah al-ʿĀmmah al-Miṣriyyah li al-Kitāb.

ʿUmar, Al-S. (2021). *Jāmiʿ Fiqh al-Ummah: Raḥīq al-Ḥaqībah al-Maʿrifiyyah li al-ʿAlāmah Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī*. Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Qur'anic Hermeneutics in the Thought of Taha Jabir Al-Alwani

Hani Samir Amin Jazira*

Abstract

This article examines Taha Jabir Al-Alwani's attempt to crystallize a holistic hermeneutical approach to the Qur'an. The article's central argument is that Al-Alwani calls on exegetes of the Qur'an to underpin their hermeneutics with thinking about the Qur'an's higher objectives (*maqāṣid*). Al-Alwani's hermeneutics, thus, requires attention to capturing the overall goals and purposes of Qur'anic verses (including the wisdom in how they are expressed) in relation to the composition of human beings and their existence in the universe. For Al-Alwani, a *maqāṣidic* or objective-oriented hermeneutical approach to the Qur'an allows for the Ummah's renewal (*tajdīd*) – when needed and where beneficial. This is achieved namely through two processes: an integrated reading of revelation and the universe wherein the exegete seeks to understand the relation between them; and understanding the Qur'an in light of the doctrine of abrogation (*naskh*) or supersession (i.e., of one ruling by another), clear (*muḥkam*) and ambiguous or multivalent (*mutashābih*) verses (i.e., susceptible to different interpretations), and the Qur'an's structural unity (*al-waḥdah al-binā'iyyah*).

Keywords: Qur'an, hermeneutics, revelation, universe, *maqāṣid*, higher objectives, purposes, *naskh*, abrogation, clear verses, *ayāt*, *muḥkam*, ambiguous, multivalent, *mutashābih*, structural unity, *al-waḥdah al-binā'iyyah*

* Hani Samir Amin Jazira holds a PhD (2019) in Comparative Religion from Al-Azhar University. He is a Lecturer at the Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Uṣūl al-Dīn, Cairo, Al-Azhar University. E-mail: Drhanysamir2000@yahoo.com.

Cite this article as: Jazeera, Hani Samir Amin (2025). "Qur'anic Hermeneutics in the Thought of Taha Jabir Al-Alwani", *Journal of Contemporary Islamic Thought (formerly Islamic Knowledge)*, Vol. 31, No. 109, 77-108. DOI: 10.35632/citj.v31i109.13847